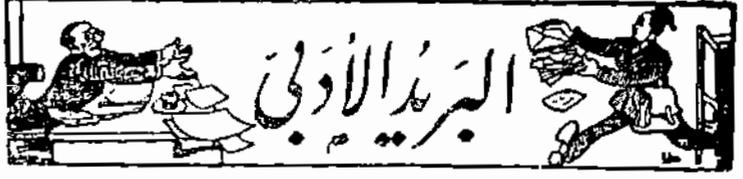


إلى ما هاجر إليه « في حديث (إنما الأعمال) : « وليس في الخبر الوارد في قول القائل : « كأننا والماء... الخ . » فائدة زائدة على المبتدأ ولا هو مما يحتمل تقدير شيء من ذلك .



إلى الأستاذ محمد أصمير الغمراوي

تعجبني مداعباتك الطريفة للدكتور زكي مبارك ، وبدهشني حقاً كما يدهش الكثيرون أن يقف الدكتور - وهو الصوال المقدم - هذا الموقف السلبي الغريب بأزاء نقد أوشك أن يهدم أكبر أثر له طالما اعتر به وفاخر . وما دام قد لاذ بالصمت وآثر عافية غير محمودة ، فلا مندوحة لسواه من أن يسد مسده في التعقيب على ما يستحق التعقيب عليه من هذا النقد . وقد وقعت من ذلك على تقطين في مقالك الرابع عن « فساد الطريقة في كتاب النثر الفني »

الأولى : أنك ذكرت أن سر تفاهة البيت :

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء
ليس في صدق هذا الكلام ومطابقتها للواقع - كما زعم الدكتور في كتابه - وإنما هو في أن المشبه به في الشطر الثاني من البيت هو المشبه عينه الوارد في الشطر الأول مما أبطل التشبيه لعدم المغايرة بين طرفيه ، فأصبح البيت من ناحية التشبيه بيتاً كذباً ، ولو استبدل بحرف التشبيه حرف التوكيد لصدق البيت وارتفعت قيمته ارتفاعاً يجعله بمنجاة من أن يكون مثلاً مضروباً في السخرية والاستهزاء الخ ... »

وأقول إن البيت - حتى بسد هذا التمديل المقترح - يظل تافهاً ، بل غير صحيح من ناحية اللغة ، وذلك لأنه يشترط في الخبر أن يفيد فائدة زائدة على المبتدأ ، وفي ذلك يقول ابن مالك : والخبر الجزء المتم الفائدة كالله بر والأيدى شاهده ولا معنى للخبر إن لم يكن كذلك . وما ورد فيه الخبر بلفظ المبتدأ لوحظت فيه مع ذلك فائدة زائدة على المبتدأ كما في قول القائل : أنا أبو النجم وشعري وشعري . إذ عني بقوله « شعري شعري » أن شعره الحاضر هو من جنس شعره المهود للمخاطبين من قبل . وعلى تقدير كهذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم : « فن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته

الثانية : ذكرت ما أورده الدكتور زكي في كتاب النثر الفني نقلاً عن الباقلاني من تعريف الأخير للسجع بأنه : « ما يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع » ، وتقرره أن ما ورد في القرآن على هيئة السجع لا يدخل تحت هذا التعريف ، « لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى » . وأردفت ذلك بذكر عبارة الباقلاني التي أكد بها احتجاجه لرأيه المتقدم ، وهي :

« وفصل بين أن ينظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ : ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفاضة السجع كأفادته غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

ثم زعمت أن هذه العبارة لا تستقيم مع رأى الباقلاني المتقدم ، وأنه لا بد أن يكون قد وقع فيها تداخل عند طبع الأصل أو عند النسخ استغناءً به المعنى على القارئ مما لم يفظن إليه الدكتور « فدل بذلك على قصوره في فحص الكلام وتقليبه أو على قصوره في الفهم والتفكير الخ ... »

والواقع أنه لا تداخل في العبارة ولا استغناء في معناها الواضح كل الوضوح ، فهي تعني أن الكلام الوارد على هيئة السجع على نوعين : أحدهما كلام منتظم في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه . فلا مناص من إيراد اللفظ الوارد على هيئة السجع ، لأنه لا بد منه لإفاضة هذا المعنى ، ولا يمكن أن يحل غيره محله في إفادته ، وبصحيح المعنى في هذه الحالة مرتبطاً بذلك كارتباط معاني غيره من الألفاظ التي لم ترد على هيئة السجع بهذه الألفاظ . فتكون إفادته كأفادتها ، أي أنه لا يكون مستجلباً لغرض آخر غير إفادة المعنى . النوع الثاني كلام يكون معناه منتظماً بغير اللفظ الوارد فيه على هيئة السجع ، فلا يكون هذا المعنى مرتبطاً بهذا اللفظ ، لأنه يمكن الاستعاضة عنه بلفظ آخر يفيد هذا المعنى أيضاً ، وعلى ذلك يكون الإتيان في هذه الحالة بخصوص اللفظ الوارد على هيئة السجع قد قصد به إلى

وكلمة اليوم في البيت التي وضعتها بين قوسين تدل بوضوح على أن المتنبي كان يحب ، وأنه يريد بإصرار وقوة أن يتوب من هذا الحب . فيقول . انتهى عهد الحب واليوم أصبح بين مؤنسا على لا يؤثر في سقما ولا هما

٢ - وإن قال المتنبي (محب كنى بالبيض الخ) إلا أن قوله :
عدمت فؤاداً لم تبت فيه (فضلة)

لغير الثنايا الفر والحديق النجل
بدل على أنه يريد أنت لا يكون قلبه قاصراً على حب النساء ، بل يجب أن يكون فيه (فضله) لغير حب النساء .

٣ - قول المتنبي (وما العشق إلا غرة وطاعة) وقوله :
(مما أضر بأهل العشق أنهم) ، وأمثاله ، لا يدل على أنه غير عاشق . بل هو أقرب إلى أن يدل على أنه عاشق برح به العشق وكوى كبده ، وذاق حلوه ومره ، ولكنه رجل غلب عليه

العقل وقوة الإرادة ، فهو يريد أن يداوى نفسه من عشقه بمثل هذه الأقوال ، وكثير ممن جربوا الحب وخابوا فيه أو لم يصلوا إلى نتيجة رجعوا على أنفسهم باللوم وعلى الحب بالتفريط

٤ - وأما الآيات التي ادعى فيها العشق ؛ فأنا أفرض مع الأستاذ أنها لا تدل على العشق ، كما يقول المتنبي نفسه (أكل فصيح قال شعراً متيم ؟) إلا أنني لا أستطيع أن أصر بأشعاره المشتعلة على العاطفة الصحيحة من مثل قوله : (ملاح برق أو ترنم طائر) إلى آخر ما ذكره الأستاذ في هذا الصدد . أقول لا أستطيع أن أصر بهذا ، دون أن أشعر بأن المتنبي كان محباً صادقاً

٥ - الحب عاطفة إنسانية أصيلة لا يحرمها إلا من مسح قلبه ، ولا يكون المتنبي - وهو من هو - كذلك ، فهذا رحمة كاف للتدليل على أن المتنبي أحب ، وأنه أحسن بلواعج الوجد ، وتباريح الغرام . والآن أن أقول إن اللغز في حب المتنبي ، ليس هو الحب نفسه ، ولكن من هو الشخص الذي أحبه المتنبي . وقد أجاب عن ذلك الأستاذ محمود محمد شاكر .

يبحث فيه مجال للبحث .

١ - فهم الأستاذ من قول المتنبي :
تحملوا حملتكم كل ناجية فكل بين على (اليوم) مؤتمن
فهم أنه (لا التهديد بالرحيل ، ولا الوعيد بالهجر استطاع أن يلين قلبه ويميل به إلى الهوى)

(اللد - فلسطين) ولود محمد

غرض آخر غير إفادة المعنى ، ألا وهو تجنيس الكلام . والنوع الثاني هو السجع الحقيقي ، والنوع الأول - وهو وحده الوارد في القرآن على ما يرى الباقلاني - ليس بسجع حقيقي وإن جاء على هيئته

ومعنى العبارة على الوجه المتقدم هو المستقيم تماماً مع رأى الباقلاني السابق في تعريف النوعين . فالأول - وهو ما ورد على هيئة السجع وليس بسجع حقيقي - يتبع اللفظ فيه المعنى ، لأنه إنما أتى باللفظ للتعبير عن ذلك المعنى المقصود بعد التثبت من إفادته التامة له . أما الثاني - وهو السجع الحقيقي - فيتبع المعنى فيه اللفظ الذي لم يؤت به بخصوصه لإفادة المعنى وإنما لغرض آخر هو تجنيس الكلام ، أفاد المعنى المقصود بتامة أو لم يفد . ومن ثم استهجن التزام السجع لأنه إنما يكون على حساب المعنى

هذا وتستطيع بعد الإيضاح المتقدم أن تتبين بأدنى تأمل ما في عبارتك التي أوردتها تصحيحاً لعبارة الباقلاني من مناقضة لحقيقة رأيه وبجانبه لاصواب

وأعود فأكرر إعجابي بجهودك الموفق في نقد كتاب النثر الفنى .

إبراهيم زكي الميربحي
الأستاذ بدار العلوم العليا ببيداد سابقاً
حول « الحب عند المتنبي » (١)

تساءل الأستاذ حسن الأمين : هل أحب المتنبي وهل أحسن بلواعج الغرام ؟

وأراد في جوابه أن يقول ، إنه لم يحب ، ولم يحسن بلواعج الغرام ، واستشهد بشيء من شعر المتنبي . وأريد أن أقول إن حب المتنبي بكاد يكون لنزاً مستعصياً على الحل . ولست الآن بصدد إثباته أو نفيه ، غير أنني أريد أن أستأذن الأستاذ حسن الأمين في ألا أرافقه في أن ما استشهد به من شعر المتنبي يؤدي إلى النتيجة التي وصل إليها . بل في بعض ما يدل على خلاف رأى الأستاذ . وما حكم البيان

١ - فهم الأستاذ من قول المتنبي :
تحملوا حملتكم كل ناجية فكل بين على (اليوم) مؤتمن
فهم أنه (لا التهديد بالرحيل ، ولا الوعيد بالهجر استطاع أن يلين قلبه ويميل به إلى الهوى)